اَولى كاعضاء الجسد اذا فسدت كان قطعها سليم فان شح بها سرنالى نفسه وكالثوب اذا اخلق كان اطراحه بالجديد اجمل من لبسه وقد قال بعض الحكما رغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس وزهدك فيمن يرغب فيك صغر همة وقال بزرجمهر من تغير عليك في مودته فدع حبه كان قبل معرفته

قال المجرادري

صِلْ مَنْ دنا وتناس من بَعُدا ❊ لا تكرهن على الهوى احدا
قد اكثرت حوى اذ ولدت ❊ فاذا اجفا ولد فخذ ولدا

وهذا مذهب من قلت وفاؤه وضعفا خاؤه وساءت طرائقه وضاقت خلايقه ولم يكن فيه فضل الاحتمال ولا صبر على الادلال وقابل على العقوق بالعقوق لا بالفضل اخذ ولا الى العفو اخلد وقد علم ان نفسه قد تطغى عليه فتردبه وان جسمه قد يسقم عليه فيولمه ويوذيه وهما اخص به واحنى عليه من صديق قد تميز بذاته وافضل بدواته فيزيد من غيره لنفسه ما لا يجد من نفسه هذا عين المحال ومحض الجهل مع ان من لم يحتمل بقي فردا او انقلب الصديق فصار عدوا وعداوة من كان صديقا اعظم من عداوة من لم يزل عدوا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما وقال اوصاني ربي بسبع الاخلاص في السر والعلانية وان اعفو عمن ظلمني واعطي من حرمني واصل من قطعني وان يكون صمتي فكرا ونظري عبرا ونطقي ذكرا قال لقمن لابنه يا بني لا تترك صديقك الاول فلا يطمئن اليك الثاني يا بني اتخذ الف صديق والف قليل ولا تتخذ عدوا واحدا فالواحد كثير وقيل للمهلب بن ابي صفرة ما تقول في العفو والعقوبة قال هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بايهما شيت وانشد ثعلب

اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد ❊ بكفيك في ادباره متعلقا
اذا انت لم تترك اخاك وزلة ❊ اذن لها اوشكتما ان تفرقا

فاذا

فاذا كان الامر على ما وصفت فمن حقوق الصفح الكشف عن سبب الهفوة لتعرف الداء فتعالجه فان لم تعرف الداء لم تقف على الدواء وكان كما قال المتنبي

فان الجرح ينفر بعد حين ❊ اذا كان البنا على الفساد

واذا كان كذلك فلا يخلو حال ذلك السبب من ان يكون لملل وزلل فورات الملوك ظل الغمام وحلم المنام وقد قيل في منثور الحكم لا تامن ملولا وان تحلى بالصله وعلاجه ان يترك على ملله فسبيل الجفا كما مل الاخا وان كان لزلل لوخطت اسبابه فان كان لها مدخل في التاويل وشبهه تاول الى الجميل حمله على اجمل تاويله وصرفه الى احسن جهته كالذي حكي عن خالد بن صفوان انه مر به صديقان له فعرج عليه احدهما وطواه الاخر فقيل له في ذلك فقال نعم عرج علينا هذا بفضله وطوانا هذا النفقة. وانشد بعض الادبا لمحمد بن داود الاصبهاني

وتزعم للواشين اني فاسد ❊ عليك واني لست فيما عهدتني
وما فسدت لي يعلم الله نية ❊ عليك ولكن خنتني فاتهمتني
غدرت بعهدي عامدا فاخنتني ❊ فخنت ولو السنتني لامنتني

وان لم يكن لزلله في التاويل مدخل نظر حاله بعد زلله فان ظهر ندمه وبان خجله فالندم توبة والخجل انابة ولا ذنب لتايب ولا لوم على منيب ولا يكلف عما سلف فيلجا الى ذل التعريف وخجل التعنيف ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاذير فان كثرها مفاخر وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كفى بما يعتذر منه تهم وقال مسلم بن قتيبة لرجل اعتذر اليه لا يدعونك امرا قد تخلصت الى الدخول في امر لعلك لا تتخلص منه وقال بعض الحكما شفيع المذنب اقراره وتوبته اعتذاره وقال بعض البلغا من لم يقبل التوبة عظمت خطيئته ومن لم يحسن الى التايب قبحت اساءته وقال بعض الادبا

Copyright © King Saud University